الباب الأول
عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية وعوامل تدهورها فى الدلتا

- الفصل الأول : عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية.
- الفصل الثانى: عوامل تدهور الحياة الاقتصادية

الفصل الأول
عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية

أولا: الموقع الجغرافى.

ثانيا: توافر مواد الخام:

1- الزراعـــة.

2- الثروة الحيوانية.

3- الثروة المعدنية.

ثالثا: استتباب الأمن.

الفصل الأول
عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية

من دراسة الحياة الاقتصادية فى إقليم الدلتا فى العقر الفاطمى، يمكن أن نسجل عدة عوامل، كانت إلى حد كبير وراء الازدهار الملحوظ للحياة الاقتصادية فيه، تلك العوامل التى كانت مجتمعة سببا فيما حققه الاقليم من ازدهار اقتصادى، ويأتى فى مقدمتها الموقع الجغرافى، وتوافر مواد الخام الزراعية والصناعية.

أولا: الموقع الجغرافى:

يعد الموقع الجغرافى لاقليم الدلتا من أهم عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية، فلقد أتاح لها هذا الموقع أن تصبح ملتقى الرحلات البحرية القادمة من الهند والصين وبلاد أوربا، حيث تلتقى بالرحلات البرية وقوافل الابل القادمة من الشام والعراق وبلاد المغرب العربى.

كما أتاح موقع الدلتا سهولة الاتصال بالصعيد لنقل المنتجات بواسطة النيل يقول ابن بطوطة[1] "وأن بنيلها من المراكب ست وثلاثون ألف للسلطان والرعية، تمر صاعدة إلى الصعيد ومنحدرة إلى الاسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق".

ومما أدى إلى انتعاش الحياة الاقتصادية وتنشيط حركة التبادل التجارى كثرة الأسواق على طول ضفة النهر من الاسكندرية إلى مصر.[2]

وصف الرحالة التطيلى[3] الذى زار مصر فى العصر الفاطمى، حالة الازدهار الاقتصادى فى الاقليم بقوله " كانت عامرة بالمدن والقرى والضياع والمسافرون يغدون ويروحون فيما بينها برا ونهرا وبالأحمال".

ومن أبرز مظاهر الازدهار الاقتصادى وجود شبكة واسعة من الطرق الداخلية البرية التى سهلت مرور التجارة عبر الاقليم، فمنها طريق يبدأ من مركز القلعة إلى سرياقوس[4]، ثم إلى بئر البيضاء إلى مدينة بلبيس وهناك طريق آخر من مركز القلعة إلى

([1]) مهذب رحلة ابن بطوطة، الجزء الأول، تحقيق أحمد العوامرى وآخرين، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1934م، ص 26.

([2]) نفسه، ص 25.

([3]) رحلة بنيامين، الطبعة الأولى ، ترجمة غرار حداد، المطبعة الشرقية، بغداد، ص 174- 175.

([4]) سرياقوس من القرى القديمة التابعة لمركز شبين القناطر محافظة القليوبية، محمد رمزى: القاموس الجغرافى ، الجزء الأول ، القسم الثانى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1955م، ص 35.

مدينة قليوب ثم إلى منوف العليا مارا بالمحلة إلى التحريرية[1]، فضلا عن طريق غرب الدلتا الذى يبدأ من القلعة مارا باقليم البحيرة إلى الاسكندرية، وكذلك طريق شرق الدلتا الذى يبدأ من السعدية[2]، ويمر بالخطارة[3]، وقبر الوايلى[4]، إلى قطيا. [5]

وطرأت على رأس الدلتا[6]، تغيرات مختلفة عبر العصور، ومن الثابت فى العصر الاسلامى بأنها شملت المنطقة المحصورة بين فرعى رشيد ودمياط من عند شطنوف[7]، حيث يتجه فرع رشيد غربا ويصب فى البحر المتوسط. [8]

وشهدت الدلتا تقسيمات إدارية فى العصر الفاطمى، أشار إليها المسيحى والقضاعى ، فالمسيحى يتحدث عن التقسيم الإدارى فى عصر الحاكم بأمر الله (386هـ/ 985م = 411هـ/ 1021م). [9]

---

(1) التحريرية قرية من عمل الغربية. المقريزى : الخطط، جـ 1، ص 226.

(2) من القرى القديمة التابعة لمركز بلبيس بمحافظة الشرقية، وكان اسمها الأصلى المحروقة، انظر : محمد رمزى : القاموس الجغرافى، القسم الثانى، الجزء الأول، ص 98.

(3) من القرى القديمة التابعة لمركز فاقوس بمحافظة الشرقية.
محمد رمزى : القاموس الجغرافى، القسم الثانى، جـ1، ص 112.

(4) قبر الوايلى من أعمال الشرقية.
ابن مماتى: قوانين الدواوين ، جمعة وحققه د/ عزيز سوريال عطية، الجمعية الملكية الزراعية ، القاهرة ، 1943م، ص 165.

(5) القلقشندى : صبح الأعشى، الجزء الرابع عشر، القاهرة، 1938م، ص 376.
قطيا بلدة من الجفار يحصل بها العشر من التجار وهى فى نهاية الحدود بين مصر وبلاد الشام ولا يسمح لأحد بالمرور من مصر إلى الشام أو من الشام إلىمصر إلا بورقة.
ابن دقماق: الانتصار، الجزء الخامس، القسم الثانى، المكتب التجارى للطباعة. بيروت، ص 53.

(6) كانت توجد بلدة الدلتا القديمة على رأس الجزيرة التى ينحصر بينهما المياه وعرفت بالدلتا لمشابهته شكله لحرف الدال وهو حرف هجائى رومى والدلتا مثلثة الشكل قاعدتها ساحل البحر الرومى من الطينة إلى هرقليم وضلعها الشرقى فرع الطينة المعروف باسم البيلوزى والضلع الغربى الفرع الكانوبى. أنظر:
على مبارك: الخطط التوفيقية، الجزء الحادى عشر، الطبعة الأولى، بولاق 1035هـ، ص 18.

(7) بلدة من كور الغربية. انظر:
ياقوت: معجم البلدان ، الجزء الثالث، بيروت، ص 345.
البغدادى: مراصد الاطلاع، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، بيروت، 1954م، ص 798.

(8) التطيلى: رحلة بنيامين، ص 147، ياقوت: معجم البلدان، جـ3، ص 344.
- الخالدى : المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 83، جامعة القاهرة رقم 24045
- البغدادى: مراصد الاطلاع ، جـ2، ص 798.
- المحلى: مبدأ النيل على التحرير (مخطوط) ورقة 25، دار الكتب المصرية رقم 381 جغرافيا.
- الحجازى: النيل الرائد فى النيل الزائد (مخطوط) ورقة 14- 15، دار الكتب المصرية، رقم 380 جغرافيا.
- ابن عبد السلام : الفيض المديد فى أخبار النيل السعيد (مخطوط) ورقة 4، دار الكتب المصرية رقم 429 جغرافيا.
- ابو السرور: قطاف الأزهار (مخطوط) ورقة 6 دار الكتب المصرية رقم 457 جغرافيا.

(9) الامام الحاكم بأمر الله أبو على منصور العزيز نزار بن المعز العبيدى تولى المملكة بعد أبيه بوصية منه سنة 386هـ/ 985 م واختفى بجبل المقطم فى شوال 411هـ/ 1021. انظر: =

ومنها الحوف الشرقى[1]، وبطن الريف[2]، ثم الحوف الغربى[3]، أما القضاعى (454هـ) قسمها إلى أربع أقسام: الحوف الشرقى والحوف الغربى وبطن الريف والجزيرة[4]، ومن أهم مدن الحوف الشرقى التى ساهمت فى ازدهار الحياة الاقتصادية، بفضل موقعها وقليوب مدينة كبيرة[5]، شرقى النيل[6]، تبعد عن القاهرة حوالى ستة أميال[7]، وهى مقر الولاية[8]، ومقام متولى الحرب السعيد[9]، وساعد موقعها بالقرب من القاهرة على امداد القاهرة بحاجتها من الفواكه التى تتميز برخص اسعارها. [10]

= - ابن دقماق: الجوهر الثمين فى سير الخلفاء والملوك، تحقيق سعيد عاشور، جامعة ام القرى، السعودية، 1982م، ص 204.

- ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، الجزء الرابع، مطبعة كوستاتوماس، القاهرة، 1971م، ص 176.

([1]) يقع الحوف الشرقى فى الجزء الشرقى للدلتا، ويحتوى على 529 قرية، فيما عدا المنى فى سبع كور، كورة أتريب ، كورة بنو (بنا) وكورة نما وكورة بسطة وكورة طرابية وكورة هربيط وكور صا (صان) وابليل. انظر:

المقريزى : الخطط، جـ1، ص 73.

([2]) يشمل المنطقة المحصورة بين فرعى رشيد ودمياط وعدد قراها 680 قرية فيما عدا المنى والكفور كورتا دمسيس ومنوف، وكورة تاطورة منوف، كورة سخا ، كورة بيده والافراحون ، كورة البشرود ، كورة نفرا ، كورة بيا وبوصير كورة سمنود، كورة نوسا، كورة الأوسية، وكورة البجوم وتنيس ودمياط، انظر:

المقريزى: الخطط، جـ1، ص 73.

([3]) يقع الحوف الغربى فى غرب الدلتا وعدد القرى 449 قرية، فيما عدا المنى والكفور فى ثلاث عشرة كورة صا ، شباس ، البدقون، حيز البدقون ، الشراك والقرى، ترنوط، خربتا ، قرطا، مصبيل ، والمليدس ، أحنور ورشيد، البحيرة والحصص بالاسكندرية.

([4]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 73.

تشتمل الجزيرة على عمل المنوفية والغربية.

القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 405.

([5]) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، تصحيح بولس راويس، باريس 1893م، ص 34.

([6]) العمرى : مسالك الأبصار، الجزء الأول، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ص 99.

([7]) ابن جبير : رحلة ابن جبير، القاهرة، ص 47.

الميل أربعة آلاف ذراع أو 1848 مترا والستة أميال حوالى 11088 متر أى 11 كيلو مصر و 88 متر . انظر:

صبحى الصالح : النظم الاسلامية، دار العلم للملايين، الطبعة السادسة، بيروت، 1982م، ص 417.

([8]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 399.

([9]) ابن الوردى : فريدة العجائب وفريدة الغرائب، الطبعة الثانية، مكتبة مصطفى القبطى الحلبى ، القاهرة، ص 34.

- ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأمصار، جـ5، ص 47.

([10]) ابن دقماق: نفس المصدر والصفحة.

وكذلك مدينة بلبيس[1]، قصبة الحوف الشرقى، وهى مقام والى الحرب[2]، يقول القرمانى[3]، "بلبيس مدينة قديمة بمصر، كثيرة الخيرات عظيمة البركات، ويمر ببلبيس بحر ابن منجا. [4]

وتشتهر بكثرة النخيل[5]، والبساتين[6]، وببلبيس أسواق وفنادق ومدارس[7]، وهى محط الدرب الشامى[8]، وتعرف بباب الشام[9]، ومن بلبيس إلى المنصف مرحلة، تبعد عن القلزم مرحلة وعن الفسطاط مرحلة[10]، وبين بلبيس وعين شمس حوالى مسيرة نصف يوم[11]، كما تبعد عن القاهرة حوالى عشرة فراسخ. [12]وتقع العباسة[13]، على رأس

([1]) عرفت بلبيس فى التوراة بأرض جاشان.
المقريزى: الخطط، جـ1، ص 183.

([2]) المقدسى: أحسن التقاسيم ، الطبعة الثانية، ليدن 1967م، ص 193.
- الخالدى: المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 85.
- أبو الفداء: تقويم البلدان باريس 1840م، ص 119.
- ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأمصارن جـ5، ص 51.

([3]) أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ، عالم الكتب، بيروت، ص 432.

([4]) ابو الفداء : المصدر السابق، ص 119.

([5]) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 119، وابن دقماق: الانتصار، جـ5، ص 51.

([6]) ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 43.
- ابن دقماق: المصدر السابق، ص 51.
- المقريزى: الخطط، جـ1، ص 184.

([7]) ابن دقماق: المصدر السابق، ص 51.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 401.

([8]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 401.

([9]) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر، بطر سبورج 1865م، ص 231.

([10]) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص 214.
الفرسخ ثلاثة أميال ويكون طوله5544 متر فالعشرة فراسخ حوالى 55 كيلو متر، و 400 متر انظر صبحى الصالح: النظم الاسلامية، ص 417.

([11]) التطيلى: رحلة بنيامين، ص 174.

([12]) السيوطى : لب اللباب فى تحرير الانساب، مكتبة المثنى، بغداد، ص 42.
العشرة فراسخ تعادل حوالى 55 كيلو متر و 440 متر . انظر :
صبحى الصالح : المرجع السابق، ص 417.

([13]) بلدة العباسة تنسب إلى العباسة بنت أحمد بن طولون التى خرجت لوداع بنت اخيها قطر الندى بنت خماوريه بن احمد بن طولون زوج الخليفة العباسى المعتصد بالله (279- 289هـ) وعندما خرجت متوجهة إلى العراق شيدت العباسة فى هذا المكان قصرا. انظر:
- ياقوت: معجم البلدان جـ4، ص 75 القزوينى: آثار البلاد واخبار العباد، بيروت، 1960م، ص 220.
- ابو الفداء: تقويم البلدان، ص 108. والمقريزى: الخطط، جـ1، ص 232. =

الطريق الذى يربط مصر ببلاد الشام[1]، بين بلبيس والصالحية من أرض السدير[2]، إلى الشمال من بلبيس على بعد مرحلة[3]، والعباسة احدى نزهات مصر وهى كثيرة الأشجار[4]، وتبعد عن القاهرة حوالى عشرة فراسخ[5]، وعن بدر جبل الواقعة فى نهاية الحوف الشرقى حوالى ثلاثة وأربعين فرسخا[6]، وتلاشى أمر العباسة فى العصر المملوكى عندما بنى الملك الصالح نجم الدين[7]، أيوب ت 647هـ/ 1249م مدينة الصالحية. [8]

كما نرجح أن مدينة فاقوس[9]، شاركت فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى نهاية حدود مصر من ناحية الشام[10]، وعلى الطريق الذى يربط مصر بالفرما يقول الأدريسى[11] " والطريق من مصر إلى الفرما من مصر إلى بلبيس مرحلة إلى فاقوس مرحلة وهى مدينة".

= - القرمانى: أخبار الدول، ص 494.

- والمقريزى قد جانبه الصواب فيذكر فى مستهل حديثه عن العباسة بأنه ولد فيها العباس بن أحمد بان طولون سماه أبوه بالعباس نسبه إلى المدينة التى ولد بها وفنفس الصفحة يذكر المقريزى بأن تسميتها بالعباسة نسبة إلى العباسة نبت احمد بن طولون. انظر المقريزى : الخطط، جـ1، ص 232.

([1])ياقوت : معجم البلدان جـ4، ص 75.

- البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 913.

([2])المقريزى : الخطط، جـ1، ص 232.

([3])أبو الفداء: تقويم البلدان ص 108.

([4])القزوينى: آثار البلاد، ص 146- 147.

([5])ياقوت : معجم البلدان ، جـ4، ص 75، والبغدادى: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 913.

- العشرة فراسخ تعادل 55 متر و 440 متر.

([6])ياقوت : المشترك وضعا والمفترق صمعا ، جوانيج 1846م، ص 39.

([7])الملك الصالح نجم الدين أيوب من سلاطين الدولة الأيوبية توفى بالمنصورة فى 15 شعبان سنة 647هـ.

زامباور : معجم الانساب والأسرات الحاكمة، الجزء الأول، اخرجه د/ زكى محمد حسن، ود/ حسن احمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول 1951م، ص 151.

([8])المقريزى : الخطط، جـ1، ص 232.

شيد الملك الصالح نجم الدين ايوب مدينة الصالحية فى اول الرمل بين مصر والشام لنزول العسكر عند ذهابهم إلى الشام. انظر:

محمد رمزى : القاموس الجغرافى، القسم الثانى، الجزء الأول، ص 112.

([9])فاقوس من المدن القديمة ذكرها جواتييه باسمها Pakes والرومى Aphrauspolis والقبطى Fokoussa كما وردت فى كشف الاسقفيات هكذا فاقوس Arabia = Iarabia وسمى هذا القسم Arabia لاتصالها ببلاد العرب انظر:

محمد رمزى : القاموس الجغرافى، الجزء الأول، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م، ص 116.

([10])ياقوت : معجم البلدان، جـ4، ص 232. والبغدادى: مراصد الاطلاع ، جـ3، ص 1013.

([11])نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، ليدن 1866م، ص 346.

وتعد الفرما[1]، من أعظم مدن الحوف الشرقى التى ساهمت فى ازدهار الحياة الاقتصادية فهى مفتاح مصر الشرقى[2]، تقع على ساحل البحر المتوسط[3]، من ثغور مصر[4]، وهى قصبة الجفار[5]، تحتل موقعا استراتيجيا فهى مجمع للطرق[6]، فسهل وفود الجاليات التجارية من كافة البلاد من الروم والفرنج وقبرص ومن سواحل بلاد الشام والعراق[7]، عن طريق البر والبحر يقول ابن حوقل[8] " يرد التجار إلى الفرما فى البر والبحر ليلا ونهارا" وكانت الفرما فى العصور السابقة للفتح العربى حصن مصر الشرقى، وشهدت معارك حربية طاحنة عبر العصور[9]، وتبعد الفرما عن تنيس حوالى فرسخين فى البحيرة[10]، ومن الفرما إلى قطيا مسيرة يوم. [11]

([1])كانت مدينة الفرما تعرف باسم Avaris او بيلوز وتقع بالقرب من مدينة بورسعيد، انظر: اسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، بولاق 1314هـ، ص 72.

([2])اليعقوبى: البلدان، ليدن 1891، ص 337.

([3])ابن حوقل: صورة الارض، بيروت، 1979م، ص 136.

- المقدسى: احسن التقاسيم، ص 195.
- الوطواط: مباهج الفكر ومناهج العبر، الطبعة الأولى، تحقيق عبد العال الشامى، الكويت، 1981م، ص 137.
- ابو الفداء: مصدر سابق، ص 106، والبغدادى: مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1030- 1031.

([4])الوطواط: مصدر سابق، ص 137.

([5])الجفار منطقة رملية يصعب السير فيها للمسافرين وتجفر فيه الأبل انظر:

- ابو الفداء: مصدر سابق، ص 109، والمقريزى: الخطط، جـ1، ص 189.
- العمرى : مسالك الأبصار، ص 94 والجفار منقطع العمران. انظر.
- البكرى: معجم ما استعجم ، الجزء الثانى، الطبعة الأولى، تحقيق مصطفى السقا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1947م، ص 386.
- ويقع الحفار فى الجزء الشرقى للحوف ويدخل فى حوزته خمس مدن هى الفرما والبقارة والواردة والعريش ورفح انظر المقريزى : المصدر السابق، ص 189.
- ويحدد الجغرافيين العرب الجفار من بحر الروم فيمتد من رفح إلى بحيرة تنيس ومن بحيرة تنيس إلى القلزم إلى تية بنى اسرائيل اربعين فرسخا فى اربعين فرسخا.
- الاصطخرى : المسالك والممالك: تحقيق محمد جابر عبد العال الحينى، القاهرة، 1961م، ص 42.
- ابن حوقل: المصدر السابق، ص 148، والقزوينى: آثار البلاد، ص 174.
- ابو الفداء: المصدر السابق، ص 109، وابن دقماق: المصدر السابق، ص 52.
- المقريزى : المصدر السابق، ص 213.

([6])المقدسى: المصدر السابق، ص 195.

([7])ابن زولاق : فضائل مصر (مخطوط) ورقة 17، دار الكتب المصرية رقم 3591 تاريخ ميكروفيلم 41336.

([8])صورة الارض، ص 136.

([9])ابن هشام: السيرة النبوية ، القسم الأول، الجزء الأول، الطبعة الثانية، تحقيق مصطفى السقا ن مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ، 1955م، حاشية (9).

([10])الاصطخرى : المسالك والممالك، ص 42.

(11)اليعقوبى : البلدان، ص 106، والقلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 382.

ولأهمية مدينة الفرما كانت محط أطماع الفرنجة وأغاروا عليها سنة 545هـ 1150 فأحرقوها وخربوها. [1]

ومن أهم مدن بطن الريف ثغر دمياط[2] ، الذى شارك فى ازدهار الحياة الاقتصادية فيقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل من البحر المتوسط[3]، وهو من أعظم ثغور الاسلام وينحدر نهر النيل شمال دمياط ويصب فى منطقة الأشتوم. [4]

ودمياط من أعظم الموانى التى ترسو فيها المراكب[5]، ونالت اعجاب ابن بطوطة[6]، إذ قال "وهى مدينة فسيحة الأقطار متنوعة الثمار، عجيبة الترتيب آخذة من كل حسن بنصيب". وتشتهر بالأسواق والحمامات[7]، وكثرة الفواكه[8]، وتبعد عن البحر حوالى فرسخ ونصف[9]، ومن دمياط إلى رشيد مسيرة يومين[10]، وإلى سردوس مرحلة[11]، وتبعد عن تنيس مسافة نصف يوم[12]، وعن بحيرة التماسيح مسيرة ثلاثة أيام. [13]

([1])ابن دقماق: الانتصار، ص 53، والمقريزى: الخطط، جـ1، ص 212.

([2])دمياط كلمة سريانية أصلها دمط بمعنى القدرة تنويه إلى ملتقى العذب والملح، انظر:
- المقريزى : المصدر السابق، ص 213.
- القرمانى: اخبار الدول، ص 450.

([3])المقدسى : احسن التقاسيم، ص 202.
- ابن سعيد: بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق خوان قريبط جينس، تطوان ، 1958، ص 82.
- ياقوت : معجم البلدان، جـ1، ص 472- 473.
- القزوينى: آثار البلاد، ص 129.
- ابو الفداء : تقويم البلدان، ص 117.
- البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 536.
- Encyclopaedia Britannica Art Demaitta

([4])ياقوت : معجم البلدان : جـ1، ص 472- 473 القزوينى: آثار البلاد، ص 129.
- ابو الفداء: تقويم البلدان ، ص 117، الاشتوم هى فوهة البحر ومدخله.
- ابن حوقل : صورة الارض، ص 131.

([5])ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 35.

([6])مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 23.

([7])أبو الفداء: المصدر السابق، ص 117، ابن دقماق: الانتصار، ص 81.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 402.

([8])المقدسى : احسن التقاسيم، ص 214.

([9])طافور : رحلة طافور، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف، القاهرة، 1967م، ص 59.
الفرسخ ونصف حوالى 8 كيلو متر و 316 متر.

([10])الادريسى : نزهة المشتاق، ص 331.

([11])المقدسى : المصدر السابق، ص 214.

([12])ياقوت: معجم البلدان ، جـ2، ص 472، القزوينى: آثار البلاد، ص 193.
- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكتب، القاهرة، 1969م، ص 54.

([13])التطيلى : رحلة بنيامين، ص 179.

كما شاركت المدن المجاورة لدمياط بموقعها الجغرافى فى ازدهار الحياة الاقتصادية فى مجال صناعة النسيج فمنها مدينة شطا على ساحل البحر[1]، إلى الشرق من دمياط على بعد ثلاثة أميال[2]، وتشتهر بصناعة الثياب الشطوية[3]، وكذلك دبيق المشهورة بصناعة الثياب والعمائم الشرب الملونة. [4]

وشاركت مدينة ابوان فى الازدهار الاقتصادى بسبب موقعها على نهر أشموم بين البسراط واشموم بالقرب من دمياط[5]، وتعرف بالأبوانية ويعتبرونها كورة مستقلة[6]، وغالبية سكانها نصارى[7]، وينسب إليها الشراب البوانى. [8]

وكانت مدينة تنيس من أعظم مدن بطن الريف[9]، التى ساهمت بدور فعال فى ازدهار الحياة الاقتصادية، فهى جزيرة محصورة بالمياه بين الفرما ودمياط. [10]

ولا جدال فى أن سر ازدهار تنيس فى مجال التجارة والصناعة يرجع إلى موقعها الفريد ففى مجال التجارة حققت تقدما هائلا يتضح ذلك من قول المقدسى[11] " تنيس هى بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب".

([1]) اليعقوبى: البلدان ص 338، ياقوت: معجم البلدان، جـ3، ص 342.
- القزوينى: آثار البلاد، ص 209، البغدادى : مراصد الاطلاع، جـ2، ص 797.

([2]) ياقوت : معجم البلدان، جـ3، ص 342، البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ2، ص 797.

([3]) اليعقوبى : البلدان، ص 338، ياقوت : معجم البلدان، جـ3، ص 342.
- القرمانى: اخبار الدول، ص 457.

([4]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 226، ابو السرور: قطاف الأزهار (مخطوط) ورقة 33.

([5]) البغدادى : مراصد الاطلاع، جـ1، ص 246.

([6]) ياقوت : المشترك، ص 11.

([7]) البغدادى : مراصد الاطلاع، جـ1، ص 20.

([8]) ياقوت: المشترك، ص 11.
- البغدادى : مراصد الاطلاع، جـ1، ص 20.

([9]) السمعانى: الانساب، الجزء الثالث، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى، حيدر أبادن الهندن 1962، ص 98.
- ابن دقماق: الانتصار، ص 78.
- تنيس بكسر التاء وكسر النون المشددة ويا آخر الحروف وسين مهملة. انظر: المقريزى:الخطط، جـ1، ص 176، ابن دقماق: الانتصار، ص 78.

([10]) ياقوت : معجم البلدان، جـ 2، ص 51- 52.
- القزوينى: آثار البلاد، ص 117.
- البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 578- 579.

([11]) أحسن التقاسيم، ص 201.

وكانت تنيس مرفأ عظيما ، حيث يتجمع فيه السفن القادمة من الشام والعراق[1]، فضلا عن مرابطة السفن بكثرة وبصفة دائمة فيذكر ناصر خسرو[2]، الذى زار المدينة فى العصر الفاطمى أنه "كان يرابط حولها ألف سفينة منها ما هو للتجار وكثير منها للسلطان".

كما كانت تنيس ذات تربة خصبة وأشجار متنوعة[3]، وانتشرت المدن مثل الجزائر حول تنيس كدميره ودبقوا (دبيق) وشطا[4]، واستخدمت السفن كوسيلة للاتصال بين مدنها[5]، ويحيط بتنيس عدة قرى منها تؤنة[6]، التى تصنع كسوة الكعبة وسمناى التى غلب عليها ماء البحر والقيس[7]، والطينة بين الفرما وتنيس[8]، وهى مرفأ للسفن يفضى إلى تنيس[9]، والمسافة من مصر إلى تنيس حوالى تسعة أيام[10]، وتبعد عن الاسكندرية مسيرة أربعة أيام. [11]

ومن مدن الحوف الغربى التى ضربت بسهم وافر فى ازدهار الحياة الاقتصادية الاسكندرية فكانت وما تزال من أكبر مراكز التجارة العالمية بفضل موقعها الجغرافى الفريد على ساحل البحر المتوسط[12]، وهى أعظم ثغور الاسلام[13]، وأعظم مدن مصر[14]، والعالم[15]، ويفد إلى الاسكندرية التجار من كافة انحاء العالم بطريق البر والبحر للتجارة[16]، ويؤكد تلك الحقيقة كل من المراكشى والعمرى فيذكر المراكشى[17] أن

([1]) اليعقوبى : البلدان، ص 340.
([2]) سفرنامة، ص 39.
([3]) المسعودى : مروج الذهب، الجزء الأول، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، ص 348.
([4]) ابن حوقل : صورة الأرض، ص 146.
([5]) الاصطخرى: المسالك، ص 41، وابن حوقل: صورة الأرض، ص 146. - الادريسى : نزهة المشتاق، ص 337، ابن دقماق: الانتصار، ص 146.
([6]) المقريزى: الخطط، جـ1، ص 181- 182.
- الذهبى : المشتبه ، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق على محمد البجاوى، دار حياة الكتب العربية ، القاهرة، 1962م، ص 101.
([7]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 181- 182.
([8]) ياقوت : المشترك، ص 299.
([9]) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 37.
([10]) الادريسى : نزهة المشتاق، ص 331.
([11]) الزهرى: الجغرافية، ص 49.
([12]) أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 113.
([13]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 39.
([14]) ابن دقماق: الانتصار، ص 116، والخالدى : المقصد الرفيع (مخطوط)، ورقة 80.
([15]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 114.
([16]) ابن شاهين : المصدر السابق، ص 41.
([17]) الاستبصار ، ص 100.

"الاسكندرية تعجب كل من رآها لبهجتها وحسن منظرها وارتفاع مبانيها واتقانها وسعة شوارعها وطرقاتها وهى برية وبحرية " أما العمرى[1] ، فيذكر أن "وإليها تهوى ركائب التجار برا وبحرا من كل فج عميق ومكان سحيق وليس فى الدنيا نظير شرابها وطرازها المعمول والمحمول إلى أقطار الأرض شرقا وغربا".

كما أتاح موقع الاسكندرية أن تصبح أعظم المراكز التجارية فازدهرت أسواق المدينة التى يفد إليها التجار من كافة أنحاء العالم[2] " شعوب لا حصر لها"[3] . ويؤيد الوطواط[4] (ت 718هـ/ 1318م) على ما ذهبنا إليه من أهمية الاسكندرية للتجارة العالمية بعبارات بليغة بقوله " فالوصف يقصر عنها وأن أطنب الوصف".

وهكذا ساعد الموقع الجغرافى الفريد لمدن الاقليم الواقعة على ساحل البحر المتوسط كالاسكندرية ودمياط او بالقرب منه كالفرما وتنيس أو المدن الواقعة على طريق التجارة البرى المؤدى إلى بلاد الشام والحجاز كمدينة بلبيس والعباسة فى ازدهار الحياة الاقتصادية فكانت الدلتا أشبه بمستوده بشرى عظيم يكتظ بالتجار من مختلف أنحاء البلاد، مما أدى إلى نشاط حركة التجارة وانتعاش الحياة بالاقليم وانعكس ذلك بطبيعة الحال على الأهالى ومستوى المعيشة.

ثانيا: توافر مواد الخام:

(1)الزراعة:

كانت الدلتا وما زالت تقع فى وسط منطقة زراعية خصبة، فاشتهرت بكثرة المحاصيل الزراعية وساعد على ازدهار النشاط الزراعى بالاقليم توافر مياه الرى فيذكر الخالدى[5] أن "الوجه البحرى وهو أرطب كثير الفاكهة سهل الأرض كثير الأنهار" كما يمتدح القلقشندى[6] منطقة الدلتا بقوله " وهذا الوجه – الوجه البحرى – أرطب الوجهين وأقلهما حرا وأكثرها فاكهة وأحسنها مدنا".

([1]) مسالك الأبصار، ص 88.

([2]) التطيلى : رحلة بنيامين، ص 178.

([3]) هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى، الجزء الأول، ترجمة أحمد محمد رضا، مراجعة د/ عز الدين فودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م، ص 58.

([4]) مباهج الفكر، ص 138.

([5]) المقصد الرفيع (مخطوط) ، ورقة 85.

([6]) صبح الأعشى، جـ3، ص 298.

وكان مناخ الاقليم يتميز بالرطوبة ، فساعد على نمو كثير من الأشجار كالكروم واللوز والجوز وسائر الفواكه والبقول والرياحين[1]، كما تميزت أرض الدلتا بخصوبتها فاشتهرت منطقة رشيد بجودة غلتها[2]، وانتشرت مزارع القمح فى الحوف الشرقى بمشتول الطواحين[3]، التى كات تمير الحجاز من الدقيق والكعك ويذكر المقدسى أنها بلغت حوالى ثلاثة آلاف حمل حمل فى كل اسبوع من حبوب ودقيق. [4]

كما اهتم سكان الدقهلية والمرتاحية بزراعة محصول الأرز على الماء السايح (الوفير) [5] ومن المحاصيل الزراعية التى أثرت فى ازدهار الحياة الاقتصادية بالاقليم واكتسبت شهرة فائقة، وحظيت باهتمام الجغرافيين والمؤرخين البلسان[6] ذو الفائدة الطبية فكان يحمل إلى الشام والمارستانات لمعالجة المبرودين وأعيان النصارى من الحبشة والروم والفرنج[7]، فاشتهرت قرية المطرية[8]، بزراعته وليس فى جميع العالم منطقة تنافسها فى زراعته. [9]

([1]) الكندى: فضائل مصر، تحقيق ابراهيم احمد العدوى، الطبعة الأولى، مكتبة وهبة، القاهرة، 1971م، ص 47.
- المسعودى: التنبيه والاشراف، تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوى، المكتبة العصرية، بغداد، 1938، ص 20.
- ابن زولاق : فضائل مصر (مخطوط) ورقة 52.
- الغرناطى : تحفة الالباب ونخبة الاعجاب، المطبعة الصوفية، باريس 1925م، ص 207

([2]) المراكشى : الاستبصار ، ص 89.

([3]) مشتول الطواحين من قرى مركز بلبيس بمحافظة الشرقية. انظر:
- محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، القسم الثانى، الجزء الأول، ص 104.

([4]) احسن التقاسيم ، ص 195.

([5]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 34.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 230.

([6]) البلسان شجر كثير الورق، انظر : ابن منظور: لسان العرب، جـ1، ص 343.

([7]) العمرى: مسالك الأبصار ، ص 68.
- أبو السرور : قطاف الأزهار (مخطوط) ورقة 34.

([8]) المطرية من قرى الضواحى بالقرب من عين شمس.
- ابن دقماق : الانتصار، ص 45.

([9]) الجاحظ: التبصر بالتجارة، نشر وتصحيح السيد حسن حسنى، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1935م، ص 25.
- الاصطخرى : المسالك، ص 42.
- ناصر خسرو : سفرنامه، ص 56.
- الادريسى : نزهة المشتاق، ص 326.
- الهروى: الاشارات لمعرفة الزيارات، نشر وتحقيق حانين سورديل – طومين، المعهد الفرنسى، دمشق 1953م، ص 34.

=

وساعد توفر المواد الخام الزراعية كالقطن والكتان على قيام نهضة صناعية فازدهرت مراكز صناعة النسيج فى دمياط وتنيس وشطا ودبيق والاسكندرية، ونلمس ذلك بوضوح من خلال إشارات الجغرافيين والرحالة باسهاب ونسوق نماذج على سبيل المثال- لا الحصر- اشتهرت مدينة دمياط بصناعة قماش القلمونى[1]، بألوانه المختلفة كالمعلم والمطرز ومناشف الأبدان والأرجل وكان يوزع على سائر ملوك العالم آنذاك. [2]

كما ارتفعت أسعار المنسوجات فبلغ سعر الثوب الرفيع الذى يخلو من الذهب ألف درهم[3]، ويضيف ياقوت[4] ، عن مدينة دمياط قوله " وأخبرنى بعض وجوه التجار وثقاتهم أنه بيع فى سنة 398هـ حلتان دمياطيتان بثلاثة آلاف دينار وهذا ما لم يسمع بمثله فى بلد".

وكذلك ازدهرت صناعة المنسوجات فى مدينة تنيس فكانت تحاك بها ثياب الشرب التى لا يصنع مثلها فى العالم[5]، وثمة دليل على ازدهار المنسوجات وشهرتها العالمية يتضح من محاولة ملك فارس الحصول على كسوة السلطان فأرسل وفدا إلى تنيس يحمل مبلغ عشرين ألف دينار وظلوا بالمدينة عدة سنوات ولكن فشل مسعاهم. [6]

واشتهر الاقليم بالنخيل فكان بالفرما النخل العجيب الذى يثمر حين ينقطع البسر والرطب من سائر الدنيا، ولا يوجد هذا النوع بالبصرة والحجاز واليمن ولا يغيرها وبلغ وزن الواحدة من البسر حوالى عشرين درهما وطولها نحو الشبر. [7]

= - عبد اللطيف البغدادى: الافادة والاعتبار، ص 23.
- القزوينى : آثار البلاد، ص 150.
- ابن الوردى : جريدة العجائب، ص 153.
- البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ3، ص 1283.
- ابو السرور : قطاف الأزهار (مخطوط) ورقة 34.
- ابن اياس : بدائع الزهور، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، بولاق ، 1311هـ، ص 5.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، 283.

([1]) نوع من القماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار، ناصر خسرو : سفرنامه، ص 38.
([2])ياقوت : معجم البلدان ، جـ2، ص 473.
([3]) ياقوت : معجم البلدان، جـ3، ص 342.
([4]) معجم البلدان، جـ2، ص 473.
([5]) المراكشى: الاستبصار ، ص 87.
([6]) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 38
([7]) الكندى: فضائل مصر ، ص53.

- المخزومى: المنهاج فى علم خراج مصر، تحقيق كلود كاهن، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، 1986م، ص 6-7.
- المراكشى : الاستبصار ، ص 89، وابن دقماق: الانتصار ، ص 53. =

وساهم محصول قصب السكر فى ازدهار الحياة الاقتصادية، فاشتهرت مدينة دمياط بزراعته يقول ابن ظهيرة[1]، وكان الفدان فيها من القصب يخرج منه السكر اربعون قنطارا بالقوى وهو مئة قنطار بالمصرى".

واكتسب الاقليم شهرة فائقة فى زراعة الفواكه، فانتشرت زراعة البطيخ العبدلى أو العبدلاوى بدميرة[2]، التى عرفت بجودته. [3]

كما انتشرت مزارع الرمان بوفرة فى الدقهلية والمرتاحية[4]، وأشمون الرمان فكان يحمل منها إلى مصر[5]، وكذلك اشتهرت دمياط بزراعة الموز بوفرة ومنها كان ينقل إلى مصر. [6]

2- الثروة الحيوانية:

ومن عوامل ازدهار الحياة الاقتصادية فى الاقليم توفر الثروة الحيوانية، فاشتهرت مصر بتربية أجود الأبقار التى نالت اعجاب الكندى[7]، إذ يقول " وبقر مصر ليس فى الدنيا اعظم منها حتى أن العفو[8]، منها يساوى أكثر من عفور ثور من غيرها"، كما اشتهرت قرية البشمور[9]، بتربية الأغنام فيذكر ياقوت[10] " وفى البشمور كباش ليس فى الدنيا مثلها عظما وحسنا وعظم الألبان".

وكذلك ساهمت الثروة السمكية فى انتعاش الحياة الاقتصادية، وساعد على ذلك موقع الدلتا وسط شبكة واسعة من الخلجان والترع والبحيرات فأدى ذلك إلى توفر الأسماك

= - المقريزى : الخطط، جـ1، ص 212.
- الحميرى : الروض المعطار، الطبعة الثانية، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص 439.
- ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة، ص 54.

([1]) الفضائل الباهرة، ص 54.
([2]) عبد اللطيف البغدادى: الافادة والاعتبار، ص 33.
([3]) المقدسى: أحسن التقاسيم ، ص 196.
(4) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 35.
([5]) ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 25.
([6]) نفسه ، ص 23.
([7])فضائل مصر، ص 69.
([8]) العفو خيار الشئ وأجوده. انظر: الزبيدى: تاج العروس، المجلد الحادى عشر، بيروت، ص 247.
([9]) البشمور من قرى محافظة الدقهلية، انظر: ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 87.
([10]) معجم البلدان، جـ1، ص 428، والقرمانى: أخبار الدول، ص 432.
- القزوينى: آثار البلاد، ص 155.
- عبد العال الشامى : مدن مصر وقراها عند ياقوت ، الطبعة الأولى، الكويت، 1981، ص 35.

بكميات وفيرة ، فاشتهرت الاسكندرية بكثرة أصناف الأسماك المختلفة الأنواع والأشكال[1]، فمنها سمكة العروس[2]، والسرب والترسة ، وتسمى الجاه وهى سلحفاه وكان يقطع لحمها ويباع[3]، ونستدل على رواج الحياة الاقتصادية بالاسكندرية برخص أسعار الأسماك فيذكر المقريزى[4] عن عملية البيع والشراء " بأقل القيم وأبخس الأثمان".

ومن أشهر الأسماك بالنيل سمكة الرعاد [5]، يبلغ طولها حوالى ذراع[6] ، وأشتهر ثغر نستراوة[7] ، بكثرة الأسماك[8]، فمنها الحوت البورى. [9]

وكذلك كانت تنيس ذات شهرة فائقة فى انتاج الأسماك فيحدثنا الجغرافيون العرب بأنه كان بها حوالى تسعة وسبعين صنفا من الأسماك المختلفة بل كان بها ما لا يوجد فى مكان آخر من العالم . [10]

ومن أشهرها سمك الدلفين[11] ، ونلمس اثر الثروة السمكية بتنيس فى ازدهار الحياة الاقتصادية من جملة المتحصل من مصايد الأسماك فى كل سنة بحوالى خمسين ألف دينار.[12]

كما ساهم ثغر دمياط بنصيب كبير فى انتاج الأسماك فكان يباع هناك على مدار السنة ويصدر إلى كافة الاقاليم[13]،واعتاد أهالى رشيد على تمليح الدليس[14]وبيعه إلى كافة الاقاليم. [15]

([1]) عبد اللطيف البغدادى: الافادة والاعتبار، ص 43.

([2]) ابن حوقل : صورة الارض ، ص 146.

([3]) عبد اللطيف البغدادى: الافادة والاعتبار، ص 43.

([4]) الخطط، جـ1، ص 169.

([5]) الكندى: فضائل مصر، ص 67، والمسعودى : مروج الذهب، جـ1، ص 356.

- المراكشى : الاستبصار، ص 46، الرعاد نوع من السمك إذ مسه الانسان ارتعدت يده ما دام السمك حيا . انظر الحميرى : الروض المعطار، ص 587.
- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز : القاهرة، 1990م، ص 268.

([6]) المسعودى : مروج الذهب ، جـ1، ص 356.

([7]) ثغر نستراوه بلدة بين البحر المتوسط وبين البحيرة المعروفة بها وتبعد عن النيل مسيرة نصف يوم .انظر : ابن دقماق : الانتصار، ص 113.

([8]) ابن حوقل : صورة الارض، ص 131.

([9]) ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1، ص 22.

([10]) القزوينى: آثار البلاد ، ص 178.

- ابن سام : انيس الجليس فى أخبار تنيس ، نشر وتحقيق جمال الدين الشيال، مجلة المجمع العلمى العراقى مجلد 14 لسنة 1967م، ص 186.

([11]) ابن حوقل: صورة الارض، ص 146، وعبد اللطيف البغدادى: الافادة والاعتبار، ص 43.

- المراكشى : الاستبصار، ص 46، الدلفين كلمة يونانية عربية الدحسو هى من دواب البحر الكبيرة . انظر عبد اللطيف البغدادى: المصدر السابق، ص 39 حاشية (10).

([12]) ابن بسام : انيس الجليس ، ص 187

([13]) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك، ص 35.

([14]) من أنواع السمك المشهور.

([15]) الادريسى : نزهة المشتاق ، ص 343.

وكذلك ساعد توفر الطيور بمختلف أنواعها فى ازدهار الحياة الاقتصادية فكان بتنيس طيور كثيرة يصفها ابن بسام[1] بقوله : " وفى هذه البحيرة أطيار تأتيها فى أوقات مختلفة حتى أن منها ما قد شوهد بالمشرق ومنها ما قد شوهد بالمغرب وفى بلاد الروم".

من أهم أنواع الطيور[2] ، السلوى[3] والسمانى فكان أهالى تنيس يصطادونه من على أبواب دورهم[4] ، كما يوجد طائر السمان بالفرما[5]، ودمياط.[6]

3-الثروة المعدنيــة:

ساهمت مواد الخام المعدنية فى ازدهار الحياة الاقتصادية بالدلتا، فتوفرت الفضة بأرض الاقليم فيما بين قطيا والواردة[7] ، حيث يقصدها أصحاب المطالب من الناس ويحفرون فى كيمانها فيعثرون على دراهم من الفضة الخالصة الثقيلة الوزن ذات الفائدة القصوى.[8]

وكذلك كان لمعدن النطرون أهمية اقتصادية فائقة فيوجد بناحية الطرانة[9]، من أعمال البحيرة[10]، وبفاقوس وينقسم النطرون إلى نوعين احمر وأخضر[11]، ويشتد الطلب على الأخضر لفائدته العظيمة فيستخدمه الحياك فى القماش[12]، ولندرة هذا المعدن فانه يدر ربحا وفيرا ونستدل على ذلك من قول القلقشندى[13] " لا يعرف فى الدنيا بركة صغيرة يستغل منها نظيرها فانها تغل نحو مائة فدان تغل نحو مائة الف دينار " ويؤكد الخالدى[14] على أهمية المعدن بقوله " بركة النطرون وهو معدن لم يكن بالدنيا نظيره ومتحصلها فى كل سنة نحو من مائة ألف دينار".

([1])انيس الجليس : ص 187.
([2]) لمزيد من التفاصيل عن انواع الطيور ارجع للملحق الرابع بالرسالة.
([3]) ياقوت : معجم البلدان ، جـ2، ص 52.
- القزوينى: آثار البلاد، ص 177.
([4]) المراكشى : الاستبصار، ص 88.
([5]) المقدسى : احسن التقاسيم ، ص 209.
([6]) طافور : رحلة طافور ، ص 62.
([7]) الواردة من البلاد التابعة للجفار وتقع شرقى المنزلة . انظر : المقريزى : الخطط، جـ1، ص 184.
([8]) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 227.
([9]) الطرانة تقع على الجانب الغربى للنيل تابعة لمركز كوم حماده، انظر الوطواط: مباهج الفكر ، ص 134.
([10]) ابن مماتى: قوانين الدواوين : ص 334. ابن دقماق: الانتصار، ص 103.
- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 283، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص 35.
([11]) ابن مماتى: المصدر السابق، ص 334.
([12]) ابن شاهين : المصدر السابق، ص 35.
([13]) صبح الاعشى، جـ3، ص 284.
([14]) المقصد الرفيع (مخطوط) ورقة 86.

كما زخر الاقليم بمعادن أخرى كحجر المغناطيس الذى يتوفر بكثرة فى جبال القلزم المتصلة بجبل المقطم[1]، وكذلك اشتهرت بحيرة المنزلة بوفرة الملح الذى يصدر منها إلى كافة أنحاء مصر. [2]

وتعد خامات اللؤلؤة فى البحر الأحمر من أهم المعادن حيث يوجد النوع المعروف بالقلزمى[3]، زنة الأجزاء الكبيرة حوالى خمسة مثاقيل ويبلغ ثمنه حوالى ثلاثين الف دينار.[4]

وأخيرا معدن النفط بساحل البحر الأحمر فيسيل دهنه من قمة الجبل تدريجيا إلى أسفل حيث يتجمع فتحمله العرب إلى الخزائن السلطانية. [5]

ثالثا : استتباب الأمـــن:

وحرص الخلفاء الفاطميون على استتباب الأمن فى ربوع البلاد بالرغم من قيام عدة ثورات فى أنحاء متفرقة بالاقليم فأخذ الخلفاء الفاطميين على عاتقهم مهمة القضاء عليها، ويتضح ذلك عندما عجز الخليفة المستنصر بالله[6] ، الفاطمى عن اخماد الفتن الداخلية بالبلاد، فعجل باستدعاء بدر الجمالى[7]، سنة 467هـ/ 1074، فشرع فى بادئ الأمر بتأمين

([1]) الوطواط : مباهج الفكر ، ص 138.
- الدمشقى : نخبة الدهر، ص 232.

([2]) ابن شاهين : زبدة كشف المماليك، ص 34.

([3]) نسبة إلى مدينة القلزم بساحل البحر الأحمر.

([4]) يحيى بن ماسويه: الجواهر وصناعتها، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1977م، ص 36.
وكان مغاص اللؤلؤة القلزمى بالقرب من جبل الطور بسيناء انظر:
- ابن الاكفانى: نخب الذخائر فى أحوال الجواهر، تحرير انستانس مارى الكرملى ، المطبعة العصرية، القاهرة، 1939م، ص 32.
- وكانت جوهرة اللؤلؤة علىنوعين عذب المذاق عمانى ومر المذاق قلزمى وكلاهما يرسب فى الماء والمصنوع منه تجده مر المذاق مع دسومة فيه وهو ضعيف الوزن يطفو على الماء.
- الجاحظ : التبصر بالتجارة، ص 11.

([5]) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 284.

([6]) المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله ولد يوم الثلاثاء 16 جمادى الأولى سنة 420هم 1029م بالقاهرة وفى عهده حدثت الشدة العظمى: انظر المقريزى : اتعاظ الحفنا، جـ2، ص 184.

([7]) بدر بن عبد الله الجمالى أبو النجم أمير الجيوش أرمنى الأصل اشتراه جمال الدولة من عمار غلاما فتربى عنده ونسب إليه وتقدم فى الخدمة حتى ولى امارة دمشق للمستنصر سنة 455هـ/ 1063م ثم استدعاه إلى مصر لاخماد الفتنة ، انظر: =

الدلتا فتوجه على رأس حملة إلى عرب لواته وأنزل بهم هزيمة ساحقة، ثم سار إلى دمياط وتمكن من اخماد جذور الفتن الداخلية بشرق الدلتا ، ولا تقل أهمية الاسكندرية عن منطقة شرق الدلتا فى الأهمية، فأصر على إعادة الهدوء إلى تلك المدينة فحاصرها ونازل الثوار وهزمهم. (1)

كما حرص الفاطميون على استتباب الأمن، فأمن الناس على تجاراتهم ولقد لفت انتباه الرحالة ناصر خسرو فسجل انطباعه عن هذا الأمن بقوله "أما الأمن الذى رأيه فأنى لم أره فى بلد من قبل ويمضى – ناصر خسرو – فى مواضع اخرى من كتابه " بلغ أمن المصريين واطمئنانهم إلى حكومتهم إلى حد أن البزازين وتجار الجواهر والصيارفة لا يغلقون أبواب دكاكينهم بل يسدلون عليها الستائر، ولم يكن احد يجرؤ على مد يده إلى شئ منها". (2)

وهكذا ساعد توافر مواد الخام الزراعية والمعدنية على انتعاش الحياة الاقتصادية بالاقليم فضلا عن استتاب الأمن، كل هذه العوامل مجتمعة كانت سببا فيما حققه الاقليم من ازدهار اقتصادى.

= - الزركلى: الاعلام، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، مطبعة كوستاتوماس، القاهرة، 1954م، ص 45.

([1]) ابن ميسر : اخبار مصر، الجزء الثانى، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد الفرنسى، للاثار الشرقية، القاهرة، ص 41.

([2]) ناصر خسرو : سفرنامه، ص 64.

الفصل الثانى
عوامل تدهور الحياة الاقتصادية

أولا: العوامل الداخلية " الاضطرابات السياسية":

1-ثورة أبى ركوة.

2-ثورة السودانيين.

3-التنافس على السلطة.

ثانيا: العوامل الخارجية:

1- تهديد القرامطة.

2- التهديد الصليبى.

ثالثا: العوامل الطبيعية

الفصل الثانى

عوامل تدهور الحياة الاقتصادية

و ما لبثت الحياة الاقتصادية ان تدهورت فى العصر الفاطمى الأخير وسوف نتحدث عن اهم عوامل تدهور الحياة الاقتصادية فى هذه الفترة.

أولا: العوامل الداخلية "الاضطرابات السياسية الداخلية":

ساهمت عوامل عديدة فى تدهور الحياة الاقتصادية بالاقليم كالفوضى السياسية التى شهدتها البلاد على المسرح السياسى، والت تمثلت فى قيام ثورات فى أنحاء متفرقة بالاقليم والتنافس بين الوزراء على السلطنة، واسناد الخلافة إلى خلفاء فى نعومة أظفارهم وفرض الوصاية عليهم.

1- ثورة أبى ركوة: [1]

ومن أخطر الثورات التى قامت بالاقليم ، والتى أثرت على النشاط الاقتصادى وامتد أثرها إلى تهديد الخفاء الفاطميين أنفسهم ، فأرسلوا عدة حملات لاخمادها ورصدت أموال طائلة لهذا الهدف فيذكر النويرى[2] " أن جملة ما أنفقوه ألف ألف دينار".

والثائر هو الوليد بن هشام بن عبد الملك بن عبد الرحمن الأموى المعروف بأبى ركوة ، ولد بالأندلس ونشأ بها وأطلق على نفسه عدة ألقاب منها الثائر بأمر الله والمنتقم من أعداء الله ، ثم نزح إلى بلاد المغرب، ونزل بمدينة القيروان[3] اتخذ بها مكتبا لتعليم الأطفال القرآن

([1]) لقب بأبى ركوة لحملة ركوة للوضوء على عادة الصوفية. انظر:
- ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، الجزء السابع، الطبعة الأولى، تركيا 1358هـ، ص 233.
- ابو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، الجزء الرابع، دار البحار، بيروت 1960م، ص 31.
- الذهبى : العبر فى خبر من غبر، الجزء الثالث، تحقيق فؤاد سيد، الكويت، 1961م، ص 62.
- ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الرابع ، دار الكتب اللبنانى، بيروت 1983م، ص 121.
- المقريزى : اتعاظ الحنفا، الجزء الثانى ، تحقيق محمد حلمى احمد، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1971م، ص 60 حاشية (2).

([2]) نهاية الأرب، جـ 26 (مخطوط) ورقة 55 دار الكتب المصرية، رقم 549 معارف عامة ميكروفيلم 42151.

([3]) القيروان من أكبر مدن افريقيا تبعد عن البحر حوالى أربعة فراسخ.
- (ناصر خسرو: سفرنامه، ص 44) شيدها عقبة بن نافع الفهرى واتخذها حاضره لملكه فى بلاد المغرب وقسمها إلى احياء ووزعها على القبائل (الحميرى : الروض المعطار، ص 486-487). وتتميز القيروان بموقعها فى منطقة كثيفة الأشجار.
- (ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق هنرى ماسيه، ليدن، ص 196) وسكن القيروان اخلاط من الناس من قريش ومن سائر بطون العرب من مصر وربيعة وقحطان وبها أصناف من العجم من أهل خراسان (اليعقوبى : البلدان، ليدن 1891م، ص 348). =

الكريم[1]، ثم رحل إلى برقة[2] ، وأخذ من أحد اليهود حوالى الف دينار، وحصل من الأهالى على مائتى الف دينار وضربت السكة باسمه[3]، وسار أبو ركوة إلى الاسكندرية ثم إلى الفيوم[4]، وفتح هناك مكتبا كعادته ثم عاد إلى مصر وتوجه إلى سبك الضحاك[5]، ثم عزم على الرحيل إلى اقليم البحيرة حيث انضم إلى قبيلة بنى قرى مستفيدا من حالة التوتر بينهم وبين الخليفة الحاكم بأمر الله (386هـ/ 996 = 411هـ/ 1020م) الذى أرسل جيشا بقيادة ابن الفتيان التركى لتأديب بنى قرة فأنزل بهم هزيمة نكراء[6] ، واستفحل أمر ابى ركوة فاستخرج الأموال واقطع بنى قرة أعمال مصر مثل دمياط وتنيس والمحلة[7]، وتطاول على الخلافة الفاطمية فبايعد بنو قرة بالخلافة. [8]

والتف حوله حشد كبير من أعوانه، فأصبح يهدد الخلافة الفاطمية فأصر الحاكم على القضاء على ذلك الثائر فأرسل جيشا بقيادة فانيال الطويل التركى للقضاء عليه فى منتصف

= - وتشتهر القيروان باصناف اللحوم الجيدة والفاكهة وهى فرضة المغرب ومتجر البحرين .
- (المقدسى : احسن التقاسيم ، ص 224- 225).

([1]) النويرى : نهاية الأرب، جـ26 (مخطوط) ورقة 54.

([2]) تقع مدينة برقة بين الاسكندرية وافريقيا (ياقوت : المشترك، ص 52، الحميرى: الروض المعطار، ص 91) تبعد عن القيروان ميلا وتتميز بخصوبة تربتها.
- ابن الفقيه : البلدان، ليدن 1302هـ، ص 79) تم فتحها على يد القائد عمرو بن العاص سنة 21هـ/ 641م. (الحميرى: الروض المعطار، ص 291) وصالح أهلها على ثلاثة عشر الف دينار يؤدونها جزية (ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 170) وبرقة بها جبلان شرقى تسكنه لخم وجذام ومراد وغربى تسكنه لواته ومزاتة وهوارة.
- الدمشقى : نخبة الدهر، ص 149.

([3]) ابن العماد : شذرات الذهب ، الجزء الثالث، المكتبة التجارية، بيروت، ص 148.
- ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ4 ، ص 215.

([4]) من أعظم مدن الصعيد على بعد من القاهرة مرحلتان، وهى ذات بساتين وأشجار وفواكه وغلات (الأدريسى : نزهة المشتاق، ص 327) وتشتهر بمحصول الأرز.
- ابن حوقل : صورة الارض، ص 149) وعرفت بالفيوم لأن خراجها الف دينار كل يوم .
- الحميرى : الروض المعطار، ص 445، وارضها مختلفة التربة بين الابليز المحض والطين المختلط بالرمل الذى يساعد على الزرع.
- الصفدى : تاريخ الفيوم وبلاده، المطبعة الأهلية، القاهرة 1898م، ص 5.
- وتشتهر الفيوم بكثرة المياة (العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة ، القاهرة 1312هـ، ص 174) وتشتهر بجودة القمح الموصوف بها (اليعقوبى : البلدان، ص 331).

([5]) سبك الضحاك من أعمال المنوفية مركز الباجور.
- ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 147، الوطواط: مباهج الفكر، ص 113.
- ابن الجيعان ك التحفة السنية باسماء البلاد المصرية، القاهرة 1974م، ص 105.

([6])النويرى : نهاية الأرب، جـ 26 (مخطوط) ورقة 54.

([7]) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ2، ص 61.

([8]) النويرى : نهاية الأرب، جـ 26 (مخطوط) ورقة 54.

شعبان سنة 395هـ 1005م فانزل بهم أبو ركوة هزيمة ساحقة ترتب عليها قتل فانيال وعدد كبير من جيشه والاستيلاء على امتعتهم ولم تفت تلك الهزيمة فى عضد الخليفة الحاكم بأمر الله . فأرسل حملة فى شهر ربيع الأول سنة 396هـ/ 1005م والتقت مع بنى قرة فى منطقة الحمام[1]، ولم تحرز انتصارا بل باءت بالفشل الذريع وكان مصيرها مثل الحملة السابقة.

كما ارسل الحاكم بأمر الله حملة ثالثة بقيادة الحسن بن فلاح لقتال أبى ركوة فى منطقة ذات الكوم فحلت بجيش الحاكم هزيمة ساحقة ونالت نفس مصير الحملات السابقة فأدى ذلك إلى تفشى حالة من الذعر والخوف يقول ابن الأثير[2] " وخاف أهل مصر ولم يبرز الحاكم من قصره، وأمر الحاكم من عنده من العسكر بالعبور إلى الجيزة" وهنا لجأ الحاكم إلى الحيلة والدهاء لتنفيذ خطته للقضاء على ابى ركوة وتمكن من هزيمته ، وقتل اعدادا كثيرة وتفرق شمله فطارده جيش[3] الحاكم إلى قوص[4]. ومنها إلى بلاد النوبة ونزل بحصن الجبل وتظاهر بأنه رسول من قبل الحاكم بأمر الله إلى ملك النوبة ، وعندما علم بذلك الفضل (قائد الجيش الفاطمى) أرسل إلى صاحب حصن الجبل بخبرة بحقيقة أمر الثائر ويأمره بالقبض عليه. [5]

وقامت قبيلة ربيعة[6] بدور هام فى مساعدة الحاكم فى القبض على الثائر ابى ركوة فتمكن شيخها أبو المكارم هبة الله من القبض عليه فى دير أبى شنوده فى أطراف النوبة

([1]) توجد عدة قرى تحمل اسم الحمام منها واحدة بقسم ابنوب شرقى النيل وقرية أخرى جنوب أدفو من اعمال اسنا وثالثة فى أول بلاد الفيوم. انظر المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ 2، ص 62 حاشية (1).

([2]) الكامل فى التاريخ ، الجزء التاسع، بيروت، 1966، ص 201.

([3]) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ9، ص 201.

([4]) قوص من اعظم مدن الصعيد (المقريزى : الخطط، جـ1، ص 236) تقع على الجانب الشرقى لنهر النيل (الوطواط : مباهج الفكر ، ص 96، الحميرى : الروض المعطار، ص 484) ويقيم بها متولى الحرب السعيد وقاضى القضاة (ابن دقماق: الانتصار، ص 38) وقوص اصبحت عملا مستقلا فى العصر المملوكى (الأدفوى : الطالع السعيد ، تحقيق سعيد محمد حسن، القاهرة، 1966م، ص 13) وكانت قوص محاطة بسور من الحجر وأكثر ابنيتها من الحجارة الكبيرة . (ناصر خسرو : سفرنامه، ص 71) قوص مدينة عظيمة بها خيرات عميمة بساتينها مورقة وأسواقها مونقة وبها المساجد الكثيرة والمدارس الاثيرة وهى منزل ولاة الصعيد (ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة، جـ1 ، ص 41) وقوص شرقى النيل وهى موضع الحرث والزرع (العمرى : التعريف بالمصطلح الشريف، ص 174) وتشتهر قوص بالتمر الذى يجلب إلى سائر الاقاليم المصرية. (القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 397).

([5]) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، جـ9، ص 202.

([6]) من القبائل العدنانية تنسب إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ويقال ربيعة الفرس لأنه ورث عن والده الخيل.

- الحنبلى : الاثار الرفيعة فى ماثر بنى ربيعة ، الطبعة الأولى، تحقيق د/ عبد العزيز صالح الهلالى، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت 1985م، ص 29. =

وعاد به الفضل إلى القاهرة فوصل إلى بركة الجيش وكان فى استقباله كبار رجال الدولة الفاطمية، وركب أبو ركوة على جمل وعلى رأسه طرطور وطوف برأسه فى البلاد. [1]

وعلى الرغم من قتل أبى ركوة فان الخلافة الفاطمية، لم تفلح جهودها الا بعد محاولات عديدة أرهقت الخزانة الفاطمية ، ورصدت لهذا الأمر اموالا طائلة ، فانعكس ذلك على النشاط الاقتصادى.

كما نؤكد أن خروج القبائل العربية بالبحيرة كبنى قرة والصلحيين اثر على النشاط الاقتصادى فقد ناصبوا الخلافة الفاطمية العداء مما أدى إلى ارسال جيش لكسر شوكتهم فالتقى معهم عند كوم شريك[2]، فى سنة 443هـ 1051م وهزم جيش الخلافة فأرسلت جيشا آخر فتغلب عليهم وأنزل بهم هزيمة ساحقة. [3]

وكذلك خرج المغاربة وسيطروا على الريف وسائر أعمال الحوف. [4]

2- ثورة السودانيين:

كما ساعد خروج عناصر السودانيين على تدهور الحياة الاقتصادية، ونستدل على ذلك من قول المقريزى[5] ،فى معرض حديثه بأنها سبب " الفتنة التى آلت إلى خراب ديار مصر".

وامتدت أيديهم بالتحطيم ونشر الفساد والسلب فعندما اشتعلت نار الفتنة بين طائفة السودانيين والأتراك بسبب مقتل احد العبيد على يد الأتراك، وتفاقم الأمر الذى أدى إلى

= - قدمت بطون ربيعة إلى مصر سنة 207هـ/ 822م وكانوا ينزلون اليمامة وجاءوا إلى مصر فى خلافة المتوكل على الله عام 240هـ/ 854م.
- المقريزى : البيان والاعراب : تحقيق عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م، ص 44.
- عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب، الجزء الثالث، دمشق 1949م، ص 1000.
- حسن احمد محمود وآخرين : مصر فى عصر الطولونيين والاخشيديين، القاهرة، 1960م، ص 26.
- عبد السلام الحبونى : انساب قبائل العرب، الطبعة الأولى، القاهرة 1960م، ص 26.
- وأشار اليعقوبى إلى هجرة ربيعة إلى وادى العلاقى انظر (اليعقوبى: البلدان، ص 334).

([1]) النويرى : نهاية الأرب، جـ 26 (مخطوط) ورقة 54- 55.

([2]) كوم شريك من أعمال حوف رمسيس (ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 172) وتنسب هذه القرية إلى ابن عبد يغوث بن جزء المرادى من الصحابة حضر فتح مصر وكان فى مقدمة جيش عمرو بن العاص، المقريزى : الخطط، جـ1، ص 163.

([3]) ابن ميسر : أخبار مصر، جـ2، ص 12- 13.

([4]) ابن ظافر : اخبار الدول، ص 74.

([5]) اتعاظ الحنفا، جـ2، ص 265.

تصادم الطرفين، وعلى الرغم من مؤازرة ام المستنصر [1] للسودانيين إلا أنه قد حلت بهم هزيمة ساحقة ، وطلب المستنصر من أبى الفرج محمد بن جعفر المغربى كاتب السر فى سنة 45هـ 1062م تسوية الخلافات بينهما لكنهم خرجوا إلى شبرا دمنهور[2]، وعاثوا فيها فسادا[3]، وتعمدوا تدمير نظام الرى لنشر القحط بين الفلاحين بالدلتا. [4]

ويبدو أثر خروج السودانيين فى تدهور الحياة الاقتصادية بالاقليم من قول الذهبى بأن المستنصر أنفق خزائنه فى رضاهم. [5]

وكذلك خرجت طائفة من العبيد إلى مدينة تنيس للمطالبة بأرزاقهم وضيقوا على عامل المدينة الشريف بن حمزة فهرب منهم إلى دمياط فعاثوا بتنيس فسادا ونهبوا الأهالى وقطعوا من معامل السلطان خمسة وعشرين قطعة وأخذوا من المودع ألفا وخمسمائة دينار.[6]

ومما يؤيد ما ذهبنا إليه من تمرد العنصر السودانى انه فى سنة 527هـ/ 1132م تجمع طائفة منهم باقليم الشرقية، واشتبكوا مع جيش الخلافة فى حروب طاحنة. [7]

ونستدل على تأزم الأوضاع الاقتصادية بسبب خروج عناصر العبيد من قول أبى صالح[8] " وكان طائفة من الرجال السودان يعرفون بالجيوشية قد طغوا كثيرا وبغوا وامتدت أيديهم إلى قطع الطرقات وأخذ أموال الناس وسفك الدماء" كما يؤيد تلك الحقيقة قول ابى ظافر[9] " فكانوا كل يوم يقتلون وزيرا ويعزلونه".

([1]) كانت أم المستنصر احدى جوارى ابى سعد سهل بن هرون التسترى اليهودى فاشتراها منه الظاهر وتزوجها وأنجبت منه المستنصر ولذلك أسندت الوزارة لأبى سعد ولذلك كانت تميل لبنى جلدتها.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 350.
- المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ2، ص 266.

([2]) ومن ضواحى القاهرة وتعرف من أيام الأيوبين باسم شبرا الخيمة وسميت شبرا دمنهور نسبة إلى مدينة قريبة منها تحمل اسم دمنهور ، انظر:
- المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ2، ص 266 ، حاشية (3).

([3]) ابن ميسر : اخبار مصر، جـ2، ص 25 ، المقريزى : الخطط، جـ1، ص 335.
- المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ2، ص 266.

([4]) ستتانلى لتبول: سيرة القاهرة، الطبعة الثانية، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 143.

([5]) الذهبى : العبر فى خبر من غبر، جـ3، ص 257.

([6]) المسبحى: أخبار مصر، تحقيق وليم ج مليورد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980م، ص 174- 175.
- المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ2، ص 157.

([7]) ابن ميسر : أخبار مصر، جـ2، ص 118.

([8]) كنائس وأديرة مصر، اكسفورد 1984م، ص 34.

([9]) أخبار الدول المنقطعة ، تعقيب أندريه فريه، المعهد الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة 1972م، ص 74.

3- التنافس على السلطة:

وساعدت الفوضى السياسية التى شهدتها البلاد فى العصر الفاطمى الثانى على تدهور الحياة الاقتصادية بالدلتا، ومن مظاهر الفوضى السياسية زيادة سلطة الوزراء الفاطميين واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء فأقدم الوزير الأفضل بن بدر الجمالى على تولية ابى القاسم احمد بن المستنصر الخلافة ولقبه " بالمستعلى بالله " فى اليوم الثامن من ذى الحجة سنة 487هـ/ 1094م وأقصى أخاه نزارا رغم أحقيته بالخلافة. [1]

وقد ترتب على ذلك اضطراب الأوضاع الاقتصادية بالاقليم فانحاز اهل الاسكندرية ووالياها الفاطمى إلى نزار وبايعوه بالخلافة ولقبوه " بالمصطفى لدين الله"[2] وفى سنة 488هـ/ 1095م خرج الأفضل من القاهرة على الاسكندرية للقضاء على حركة نزار وأفتكين ولكن منى الأفضل بهزيمة ساحقة ورجع إلى القاهرة مما أتاح الفرصة لنزار وأتباعه للنهب والسطو على الأهالى بالدلتا. [3]

ومن مظاهر الانحلال السياسى الذى أثر على الحياة الاقتصادية تنافس كبار رجال الدولة على منصب الوزارة الذى تجلى منذ عهد الخليفة الحافظ فقط طمع " بهرام الأرمنى" وإلى الغربية فى هذا المنصب فاضطر إلى توليته الوزارة[4] ، وعندما اشتدت سطوة الأرمن فى عهد هذا الوزير بعث أمراء الجيش وقواده إلى "رضوان بن ولخشى" وإلى الغربية يطلبون منه انقاذهم مما لحق بهم فقدم إلى القاهرة وخلف بهرام مع الوزارة سنة (530هـ- 531هـ = 1335- 1136م) وتلقب بالملك الأفضل. [5]

ثانيا: العوامل الخارجية:

1-تهديد القرامطة: [6]

ومن العوامل السياسية التى ساعدت على تدهور الحياة الاقتصادية بالدلتا خروج القرامطة وزحفهم صوب مصر، ونشر الفساد والاضطراب فى مدن الاقليم وبدأ النزاع بين

([1]) ابن ميسر : أخبار مصر ، جـ2، ص 60 ، المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ3، ص 12.

([2]) ابن ميسر: المصدر السابق، ص 61، والمقريزى : المصدر السابق، ص 13.

([3]) المقريزى : المصدر السابق، ص 14.

([4]) المقريزى : الخطط، جـ2، ص 17.

([5]) ابن ميسر : مصدر سابق، ص 124- 125.

([6]) كان ظهور القرامطة ببلاد البحرين على يد يحيى بن المهدى الذى توجه إلى القطيف ونزوله لعلى بن المصلى بن حمدان مولى الزياديين من غلاة الشيعة وأظهر إلى يحيى انه رسول المهدى فى سنة 281هـ/ 894م وأخبرته بأنه خرج إلى شيعته فى البلاد يدعوهم إلى أمره وأن ظهوره قد أوشك فأرسل على بن المصلى إلى الشيعة يحسهم للانضمام إليه من أهل القطيف ، كما راسل سائر قرى البحرين فى سنة 287هـ/ 900م وأخذ القرامطة يشنون غاراتهم على بلاد هجر والبلاد المجاورة. لمزيد من التفاصيل انظر:
- ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، جـ7، ص 493- 494.

القرامطة والفاطميين عندما استولى الجيش الفاطمى على دمشق سنة 359هـ/ 969م بقيادة جعفر بن فلاح وطالبه أمير القرامطة الحسن بن أحمد بن أبى سعيد بالجزية التى كان يأخذها من الأخشيديين، ومقدارها ثلاثمائة ألف دينار سنويا، ولكن جعفر بن فلاح رفض أداء هذه الأتاوة مما تسبب عنه زحف القرامطة صوب مصر فى أواخر سنة[1] 360هـ/970م، وهجموا على مدينة القلزم ونهبوا والى المدينة عبد العزيز بن يوسف. [2]

كما هجم القرامطة على مدينة تنيس فى سنة 362هـ/ 972م ودارت بينهم وبين أهل تنيس حروب طاحنة نجم عنها هزيمة القرامطة وأسر طائفة منهم وبطبيعة الحال أثرت هذه الغزوة على الحياة الاقتصادية "بتنيس " وهو الأمر الذى نلمسه من قول المقريزى[3] "واشتد خوف الناس فى المقابر حتى كانوا يصلون على الجنائز ولا يتبعونها".

ولم يقف القرامطة عند هذا الحد من التخريب ونسر الرعب والفساد ففى العام التالى سنة 363هـ/ 973م نهبوا الأهالى وحصلوا الخراج من الدلتا ووصلوا إلى مدينة المحلة. [4]

2-التهديد الصليبى: [5]

من أهم العوامل التى ساهمت فى تدهور الحياة الاقتصادية الخطر الصليبى ولن أتعرض لدراسة الحروب الصليبية من حيث دوافعها وتتبع خط سير الحملات إلى مدن الشرق الاسلامى ونتائجها، وما وجهته تلك الحملات من مقاومة عنيفة وموجة التحدى بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى لأن ذلك خارج نطاق دراستنا، أما سأبرز أثر اعتداءات الصليبين ، وما ارتكبوه من تخريب وحرق ونهب وسطو على مدن الاقليم.

وقد ترتب على ذلك، أسوأ النتائج فى الحياة الاقتصادية، فلم يكن الغزو الصليبى للشرق الاسلامى فى عام 490هـ/ 1097م يستهدف خدمة الصليب ، كما قد يتوهم البعض وإنما كان سعيا لتحقيق مكاسب اقتصادية فى بلاد المسلمين واستغلال متاجرها ومواردها[6]

([1]) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ ، جـ8، ص 614- 615.
- ابن المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ4، ص 58.

([2]) المقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ1، ص 129.

([3]) المقريزى: اتعاظ الحنفا، جـ1، ص 142.

([4]) نفسه، ص 202.

([5]) سميت تلك الحروب صليبية لأن محاربى الفرنجة كانوا يضعون علامة الصليب على ثيابهم وأسلحتهم انظر: قدرى قلعجى : صلاح الدين الأيوبى، دار الكاتب العربى، بيروت، 1966م، ص 30.

([6]) سعيد عاشور : الحركة الصليبية، الجزء الأول، الطبعة الأولى، الانجلو المصرية، القاهرة، 1963م، ص 32.
- على حسين سليمان: النشاط التجارى فى شبه الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، الانجلو المصرية، القاهرة، 1981م، ص 48.

وعلى الرغم من الصعوبات التى تعرضت لها الحملة الصليبية الأولى ، فقد نجحت فى تأسيس ثلاث أمارات فى الرها وطرابلس[1] ، وانطاكية[2]، بالاضافة إلى مملكة بيت المقدس ، وبعض الامارات الصليبية فى الشرق. [3]

وترتب على هذا الحادث اضطراب بالغ أدى إلى توقف العلاقات التجارية بين مصر والشرق والعراق وبين مصر وأوربا من جهة ثانية.

فالطريق البرى المتجة إلى دمشق والحجاز عبر الدلتا بات مهددا بالمخاطر العظيمة التى تجعل السير فيه ضربا من ضروب المستحيل بسبب غارات صاحب حصن الكرك[4] المستمرة ونهب قوافل المسلمين.

وأدى ذلك التهديد الصليبى لطرق المواصلات التى تربط مصر ببلاد شبه الجزيرة العربية إلى البحث عن طريق أكثر أمنا فاتجه التجار والحجاج صوب الجنوب الأمر الذى أثر على النشاط الاقتصادى بالدلتا يقول المقريزى[5] " أعلم ان الحاج المصرى والحاج المغربى أقاموا نحو ما بين سنتين يتوجهون إلى مكة من صحراء عيذاب[6]، فيركبون من

([1]) تقع مدينة طرابلس الشام فى الاقليم الرابع وتطل على ساحل البحر المتوسط، انظر:
- ياقوت : معجم البلدان ، جـ4، ص 26.

([2]) مدينة انطاكية من اعظم مدن بلاد الشام تقع على طرف البحر وهى قصبة الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد موصوفة بالنزاهة والحسن وتشتهر بالمزارع والبساتين والفواكه. انظر:
- ياقوت : معجم البلدان، جـ1، ص 266.
- القزوينى: آثار البلاد، ص 150.

([3]) سعيد عاشور : أوربا فى العصور الوسطى، الجزء الأول، الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ، 1966م، ص 450.

([4]) من أعظم حصون النصارى يقع على طريق الحجاز المتجه إلى القدس على بعد يوم ويشتمل على اربعمائة قرية وتمكن صلاح الدين الأيوبى من فرض الحصار وتشديد الرقابة عليه، انظر:
- الحميرى : الروض المعطار، ص 202- 203.

([5]) الخطط، جـ1، ص 202.

([6]) "عيذاب" تقع على ساحل البحر الأحمر وتبعد عن وادى العلاقى حوالى أربع مراحل وكانت مراسى المراكب إلى مكة والحجاز واليمن. (اليعقوبى: البلدان، ص 335) وكانت عيذاب ميناء الذهب يأخذه العرب من العلاقى إلى عيذاب يأخذون هذا المعدن من قرب أسوان إلى مصر حوالى نحو من عشر مراحل (الاصطخرى: المسالك، ص 42) وكان أهل عيذاب يعيشون على صيد الأسماك واللؤلؤة ورعى الأغنام. (ناصر خسرو: سفرنامه، ص 63) وعلى حسن الخربوطلى : العزيز بالله الفاطمى ، سلسلة أعلام العرب، رقم 73 ، القاهرة 1968م، ص 112) ويكثر بها السمن والعسل واللبن (القرمانى : أخبار الدول ص 466) وبلغت عيذاب فى نهاية القرن الخامس الهجرى درجة عظيمة من الازدهار وغدت من أعظم الموانى التى ترسو فيها مراكب كثير من البلاد لكن الازدهار التى شهدته عيذاب لم يستمر طويلا لتحول طريق قوافل التجارة إلى سيناء، يوسف فضل حسن : المعالم الرئيسية فى الهجرة العربية إلى السودان ، مجلة الجمعية المصرية، المجلد 13، القاهرة، 1967م، ص 119.

النيل من ساحل مدينة الفسطاط يركبون ابايل[1] ، من قوص إلى صحراء عيذاب ولا تزال عامرة بما يصدر ويورد إليها من قوافل التجارة والحجاج ولم تزل صحراء عيذاب مسلك الحجاج ذهابا وإيابا من سنة خمس وأربعمائة إلى سنة ستين وخمسمائة.

ولم يقتصر التهديد الصليبى لمدن الدلتا على قطع طريق التجارة المار عبر الاقليم بل تعداه إلى التدمير والسلب فشهدت مدينة " تنيس" فى 8 جمادى الأولى سنة 549هـ/ 1154م هجوم الفرنجة وحلت بالمدينة على أيديهم نقمة الدهر من قتل وأسر وعاثوا بالمدينة فسادا وخربوا اقتصادها ويذكر أبو شامة[2] " أن عدة وافرة من مراكب الفرنج من صقلية[3] ، وصلت إلى تنيس على حين غفلة من أهلها فهجمت وقتلت , أسرت ونهبت وعادت بالغنائم بعد ثلاثة أيام وتركتها صفرا".

كما عاود الفرنجة الاعتداء على تنيس بحملة مكونة من أربعين مركبا سنة 573هـ/ 177م وحصاروها مما أدى إلى فرار أهلها إلى دمياط فسنحت لهم الفرصة للنهب والسلب وأشعلوا فى المدينة النار وجعلوها خرابا ثم رحلوا[4] ، فى سنة 577هـ/ 1181م واعتدى الفرنجة بالسلب على المراكب الراسية بساحل تنيس. [5]

وترتب على الاعتداءات الصليبية المتكررة اصابة صناعة النسيج بضربة قاصمة فى أواخر العصر الفاطمى فضلا عن النفقات الباهظة والتى تقدر بالاف الدنانير والتى تكلفتها العمليات الحربية بين المصريين والصليبين. [6]

كما حرص الصليبيون على تخريب مدينة دمياط لأهميتها الاقتصادية، لوقوعها على طريق التجارة العالمية حيث يقصدها التجار فى البر والبحر[7]، فلقد حضر لوجيز بن رجا

([1]) الابل اسم جمع وهى مؤنثة لأن اسم الجمع الذى لا يوجد له مفرد يلزمه التأنيث وتدخله الهاء إذا صغر نحو أبيلة وغنيمة والجمع ابال وأبيل.
الفيومى: المصباح المنير، الجزء الأول، الطبعة السادسة، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1926م، ص 2.

([2]) الروضتين فى أخبار الدولتين : الطبعة الأولى، تحقيق محمد حلمى احمد، بيروت، ص 99.

([3]) تقع جزيرة صقلية فى البحر المتوسط وهى مثلثة الشكل بين كل زاوية والأخرى مسيرة سبعة أيام (القزوينى: آثار البلاد، ص 215) وتبعد عن مالطة حوالى ثمانين ميلا وفتحت فى صدر الاسلام (الحميرى : الروض المعطار، ص 366- 367). وتشتهر بالخيول والبغال والغنم وبالمعادن كالذهب والفضة والنحاس والحديد (القزوينى: آثار البلاد، ص 215)

([4]) ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية، بولاق 1311هـ، ص 50.

([5]) المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، الجزء الأول، القسم الأول، الطبعة الثانية ، تصحيح محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956م، ص 72.

([6]) ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية "المقدمة"، تحقيق عبد الرحمن فهمى محمد، مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، القاهرة، 1977م، ص 39.

([7]) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية، الطبعة الأولى، تحقيق جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتاليف والترجمة، القاهرة، 1964م، ص 41.

صاحب صقلية سنة 550هـ/ 1155م بحملة عدتها ستين مركبا فى خلافة الفائز بنصر[1] الله عيسى لتخريب دمياط فعاثوا فسادا وقتلوا وزحفوا إلى سائر مدن الدلتا كتنيس ورشيد والاسكندرية، وتفاقم الأمر عندما حضر ملك الفرنج إلى القاهرة لحصارها وفرض الاتاوة على أهلها واحرق مدينة الفسطاط ونزل على تنيس وأشموم[2]، ومنية غمر[3]، باسطول مكون من عشرين شونة[4]، فقتل وأسر وسبى. [5]

كما وصل الفرنجة فى أواخر العصر الفاطمى، فى شهر بيع سنة 565هـ/ 1169م على رأس حملة مكونة من ألف مركب بهدف تخريب اقتصاد مدينة دمياط والاستيلاء عليها فعهد الخليفة العاضد (555هـ/ 11660م) لوزيره صلاح الدين بمهمة صد الفرنجة وتكلفت العمليات الحربية حوالى خمسمائة الف وخمسين الف دينار واستمرت الحرب حوالى خمسا وخمسين يوما، وتأزم الوضع على أهل دمياط وهم صامدون ولجأ صلاح الدين إلى الحيلة والدهاء لفك حصار الفرنجة عن دمياط فاستنجد بصاحب الشام نور الدين محمود زنكى[6]، بشن الهجوم على الساحل الشامية ، فأدرك الفرنجة خطورة الموقف فى الامارات الصليبية ببلاد الشام ، مما عجل برحيلهم خوفا على مدنهم ، وبالرغم من التدهور الاقتصادى لمصر آنذاك، فان الخليفة العاضد لم يتهاون فى ارسال الامدادات إلى صلاح الدين أثناء حصار الفرنج لدمياط فأمده بحوالى الف ألف دينار ومستلزمات الجند من الملابس وغيرها. [7]

([1]) تولى الحكم وعمره خمس سنين عقب وفاة والده فى مستهل شهر صفر سنة 549هـ/1154 وعين الصالح طلائع بن رزيك وزيرا له (ابن دقماق: الجوهر الثمين، ص 216) وكانت مدة خلافته ست سنوات وشهرين (أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، جـ2، ص 51) وتوفى فى السابع عشر من رجب سنة 555هـ/ 1160 انظر:

- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 427، زامباور: معجم الأسرات، ص 145.

([2]) تقع على النيل الشرقى (أبو الفداء: تقويم البلدان: ص 119، ابن دقماق: الانتصار، ص 68) وهى قصبة كورة الدقهلية والبشمور (ابو الفداء: المصدر السابق، ص 119، البغدادى: مراصد الاطلاع، جـ1، ص 84، وابن دقماق: الانتصار، ص 68) . وهى مقر الولاية (القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 401).

([3]) منية غمر من اعمال الشرقية (الوطواط : مباهج الفكر، ص 111، وابن الجيعان: التحفة السنية، ص 44) تقع شمالى مصر على فوهة النهر المتجه إلى دمياط وتقابلها زفتا (ياقوت : معجم البلدان جـ8، ص 218).

([4]) من أهم السفن الحربية الكبيرة التى يتكون منها الأسطول فى الدول الاسلامية، والشينى هو الاصل الذى يتفرع منه اسماء السفن الحربية الأخرى.

- درويش النجيلى: السفن الاسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، الاسكندرية، 1979م، ص 83.

(5) المقريزى : الخطط، جـ1، ص 214.

- جميل خانكى: البحرية المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1948م، ص 143- 144.

([6]) ولد نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بن اقسنقر سنة 511هـ/ 1117م والت اليه أمور بلاد الشام وديار الجزيرة.

- أبو الفداء: المختصر فى أخبار البشر، الجزء الخامس، دار البحار، بيروت، 1960م، ص 75.

([7]) ابن الأثير الجزرى : التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة 1963م، ص 143- 144. =

ومن الجدير بالاشارة ان العمليات الحربية التى شهدتها مدينة دمياط من هجوم الفرنجة ، ومحاولة صلاح الدين الدفاع عن المدينة كان لها أثرها السيئ على الحياة الاقتصادية حيث أدت إلى توقف النشاط الاقتصادى بدمياط، الأمر الذى أثر على صناعة النسيج.

ومن الثابت أن التهديد الصليبى للدلتا كان موجها للمدن ذات الأهمية الاقتصادية الفائقة وهاجموا مدينة الفرما لأهميتها كمجمع للطرق التجارية[1]، ففى سنة 545هـ 1150م عاثوا فى الفرما فسادا. [2]

وانفقت الدولة الفاطمية أموالا طائلة فلقد انفق العادل بن السلار[3]، على تجهيز الأسطول ثلاثمائة الف دينار لحماية الفرما من هجوم الفرنجة سنة 546هـ/ 1151م. [4]

وفى أواخر العصر الفاطمى فى خلافة الأمر باحكام الله[5]، فى سنة 554هـ/ 1159م توجه الفرنجة على رأس حملة بقيادة بلدوين إلى الفرما فدمروا المدينة وأحرقوها[6]، كما زحف الفرنجة إلى بلبيس وحصروها وملكوها ونهبوا وأسروا. [7]

ثالثا: العوامل الطبيعية:

ساهمت العوامل الطبيعية مساهمة فعالة فى تدهور الحياة الاقتصادية فى الاقليم الذى نتناوله فى هذا البحث، وتتمثل فى عدم انتظام مياة فيضان نهر النيل من زيادة أو نقصان، فالزراعة هى المصدر الرئيسى للاقتصاد المصرى ونجاحها واستقرار الحياة فيها

= - ابن الوردى : تاريخ ابن الوردى ، الجزء الثانى، الطبعة الثانية، المطبعة الحديثة، النجف ، 1969م، ص 111.
- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 215، والمقريزى : اتعاظ الحنفا، جـ2، ص 316.
- ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، المجلد الرابع، الجزء الأول، تحقيق حسن محمد الشماع ، جامعة البصرة، 1967م، ص 83- 85.

([1]) المقدسى : احسن التقاسيم، ص 195.

([2]) ابن ميسر: اخبار مصر، جـ2، ص 144، والنويرى : نهاية الأرب، جـ 26، (مخطوط)، ورقة 92.
- ابن دقماق: الانتصار، ص 53، المقريزى ، الخطط، جـ1، ص 212.

([3]) من اصل كردى استولى على الوزارة وتلقب بالملك العادل فى سنة 544هـ 1150م.
- عبد المنعم ماجد: ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، دار المعارف، الاسكندرية، 1968م، ص 435.

([4]) النويرى: نهاية الأرب، جـ 26 (مخطوط) ورقة 92.

([5]) تولى الخلافة يوم وفاة المستعلى (القلقشندى: صبح الأعشى، جـ3، ص 427) وكانت خلافته ثلاثين سنة وثمانية اشهر (ابن دقماق: الجوهر الثمين، ص 212).

([6]) ابن ظافر: أخبار الدول، ص 90، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 212.
- المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ 3، ص 56.
- محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1978، ص 42.

([7]) ابن الأثير التاريخ الباهر، ص 138.

يتوقف إلى حد كبير على فيضان النيل شريان الحياة فإذا كان الفيضان منخفضا استحال رى جميع الأراضى الأمر الذى يعقبه نقص المحصول فتحدث المجاعة.

وكان الخراج يحصل إذا بلغ منسوب المياة ثمانية عشر ذراعا[1]، وعند انخفاضها إلى ستة عشر يكون فيه صلاح لبعض الناس، ولا يتم رى البلاد وبالتالى يقل خراج السلطان، مما جعل أهالى تنيس ودمياط وتؤنة وسائر قرى بحيرة تنيس يلجأون إلى تخزين المياة. [2]

وكانت الدولة الفاطمية تحرص على الاهتمام بشئون الرى من اقامة الجسور وبناء القناطر وتطهير الخلجان فكانت زيادة النيل ستة عشر ذراعا تروى أرض مصر غامرها وعامرها[3]، يقول البغدادى[4]، "ولنسم الثمانية عشر نهاية الضرورى وكل نهاية بين هاتين فلها ابتداء يقابلها فابتداء الضرورى ستة عشر ذراعا يسمى ماء السلطان إذ عنده يستحق الخراج ويرى به نحو نصف البلاد ويغل من الوقت بمقدار مايمون أهل البلاد سنتهم جمعا مع توسع ويرى سائر البلاد المعتاد بالرى بما زاد على ستة عشر ذراعا إلى ثمانية عشر وهذا يغل مقدار ما يمد أهل البلاد سنتين فصاعدا ، وأما ما تنقص عن ست ذراعا فيروى به ما هو دون الكفاية ، ولا يحصل منه ميره سنتهم ويكون تعذر القوت بمقدار نقصانه عن ستة عشر ذارعا.

أما المسعودى[5]، فيقول " فإذا انتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الأرض وريع البلد عام وهو ضار للبهائم لعدم المراعى والكلأ وأتم الزيادة كلها العامة النفع للبلد كله سبع عشر ذراعا وفى ذلك كفايتها ورى جميع أراضيها، وإذا زاد على السبع عشرة وبلغ ثمان عشرة ذراعا وغلقها استبحر من أرض مصر الربع وفى ذلك ضرر لبعض الضياع وان كانت الزيادة ثمان عشر ذراعا كانت العاقبة فى انصرافه حدوث وباء بمصر واكثر الزيادات ثمان عشر ذراعا".

([1]) ناصر خسرو : سفرنامة، ص 42، والمقريزى : الخطط، جـ1، ص 59.

([2]) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، الجزء الأول، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، ص 343.

- المقريزى : الخطط، جـ1، ص 60.

([3]) المقريزى : الخطط، جـ1 ،ص 60.

([4]) الافادة والاعتبار، ص 77- 78.

([5]) مروج الذهب ، جـ1، ص 342.

- احمد السيد الصاوى : مجاعات مصر الفاطمية، الطبعة الأولى، دار التضامن، بيروت ، 1988م، ص 25.

وفيما يلى بيان لبعض المجاعات التى ألمت مصر بسبب قصور مياة النيل وأثرت بطبيعة الحال فى الاقليم موضع الدراسة:

1- فى سنة 387هـ/ 997م فى عهد الحاكم بأمر الله (ت 411هـ/ 1020م) انخفضت مياة نهر النيل حيث بلغت ستة عشر ذراعا واصابع، مما أدى إلى حدوث الغلاء وارتفاع الأسعار واشتد الطلب على القمح وتفاقم الأمر بارتفاع سعر الخبز. [1]

2- وفى سنة (395هـ/ 1004م) توقف النيل حتى كسر الخليج[2]، فبلغ منسوب النهر ستة عشر ذراعا وأصابع مما تسبب فى حرمان بعض الأراضى من الرى الأمر الذى أدى إلى حدوث الغلاء وارتفاع الأسعار. [3]

3- وفى سنة (397هـ/ 1006م) بلغ منسوب النيل ثلاثة عشر ذراعا واصابع فلحق الناس شدة عظيمة من قلة القمح حتى ان التليس[4] ، يبيع بثلاثة دنانير الأمر الذى أدى على ارتفاع سعر الدراهم وصرف كل دينار بثمانية عشر درهما. [5]

4- وفى سنة (398هـ/ 1007م) بلغت زيادة النيل أربعة عشر ذراعا وأصابع فلحق الناس من ذلك شدائد ووقائع البلاد. [6]

ومثلما حدث فى سنوات 399هـ/ 1008م[7]، و414هـ/ 1023م[8]، و 422هـ/ 1031م[9]، و 444هـ/ 1052م. [10]

ولعل أعظم الأحداث التى يذكرها التاريخ المصرى الوسيط هى الشدة العظمى المعروفة بالشدة المستنصرية بسبب انخفاض مياة النيل عن مسنوبها الطبيعى، مما أدى إلى تفشى الوباء والغلاء لمدة سبع سنين[11]، يقول المقريزى[12] " ثم وقع الغلاء فى أيام

([1]) المقريزى : اغاثة الأمة بكشف الغمة ، القاهرة 1940م، ص 13.
([2]) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص 14.
([3]) أمين سامى : تقويم النيل ، الجزء الأول، المطبعة الأميرية، القاهرة 1946م، ص 85.
([4]) التليس الدقيق مائة وخمسين رطلا. انظر ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص 365.
([5]) أمين سامى : تقويم النيل، ص 85.
([6]) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص 16.
([7]) أمين سامى : تقويم النيل، ص 85.
([8]) المسيحى : أخبار مصر، ص 32.
([9]) ابن اياس : نشق الأزهار، طبعة باريس، ص 77.
([10]) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص 17، وابن اياس : نشق الأزهار، ص 78.
([11]) المقريزى : اغاثة الأمة، ص 23، الاسحاقى: أخبار الدول، القاهرة، ص 117.
- أمين سامى: تقويم النيل، ص 63.
- راضى غفوس: العوامل الاقتصادية لهجرة بنى هلال وبنى سليم من مصر إلى افريقيا، مجلة أوراق ، العدد الرابع، 1981م، ص 151.

([12]) اغاثة الأمة، ص 24.

المستنصر الذى فحس أمره وشنع ذكره وكان آمده سبع سنين وسببه ضعف السلطنة واختلال احوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة واتصال الفتن بين العربان وقصور النيل وعدم من يزرع ما شمله الرى وكان ذلك فى سنة 457هـم 1064- 1065م فنزع السعر وتزايد الغلاء وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضى من الزراعة وشمل الخوف وخيفت السبل برا وبحرا".

وبطبيعة الحال ترتب على الشدة المستنصرية ارتفاع الأسعار فبلغ أردب القمح ماية دينار[1]، بينما يذكر البعض أن الأردب بيع بثمانين[2]، دينار وبلغ سعر رغيف الخبز الذى وزنه رطل بأربعة عشر درهما[3]، وأكلت الناس الميتات والجيف والقطط والكلاب[4]، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضا[5]، وأشيع بين الناس ان الحبشة سدت مجرى النيل عن أهل مصر، فأمر المستنصر البطريك بالتوجه إلى بلاد الحبشة ويطلب منهم اطلاق مجرى النيل. [6]

وفى شهر شعبان سنة (536هـ/ ابريل 1141م) قلت المياة وغلت الأسعار وشحت الحبوب والقمح والشعير فارتفعت أسعارها حتى بلغ الأردب من القمح والشعير فارتفعت أسعارها حتى بلغ الأردب من القمح تسعين درهما وارتفعت أسعار الدقيق والخبز فوصلت الثلاثة أرطال بدرهم، أما الشعير فبلغت الويبة[7]، بسبعة دراهم ، وارتفعت أسعار الزيت بثلاثة دراهم والجبن بدرهمين لكل رطل وبلغ سعر البيضة الواحدة عشر دراهم...إلخ. [8]

كما وقع غلاء فى أيام الفائز بنصر الله أبى القاسم فبلغ سعر الأردب بخمسة دنانير لقصور مياة النيل[9]، وكذلك فى سنة 595هـ / 1198م، بلغ سعر أردب الفول خمسة دنانير والشعير اربعة دنانير بالاسكندرية. [10]

ومن العوامل الطبيعية المؤثرة على الحياة الاقتصادية هبوب الرياح الغربية على مدينة رشيد فأثرت على حركة السير وتوقف التعامل فى الأسواق بالبيع والشراء. [11]

([1]) ابن ميسر : أخبار مصر، جـ2، ص 58، وابن اياس : نشق الأزهار، ص 79.
([2]) المقريزى : اغاثة الامة، ص 24 الاسحاقى: اخبار الأول، ص 117.
([3]) الاسحاقى : اخبار الأول، ص 117.
([4]) المقريزى : اغاثة الأمة ، ص 24.
([5]) ابن ميسر : اخبار مصر، جـ2، ص 58، الاسحاقى: اخبار الأول، ص 117.
([6]) ابن اياس : نشق الأزهار ، ص 79.
([7]) حوالى ستة عشر قدحا : القلقشندى : صبح الأعشى، جـ3، ص 441.
([8]) ابن ميسر: أخبار مصر، جـ2، ص 85.
([9]) المقريزى : اغاثة الأمة، ص 29.
([10]) عبد اللطيف البغدادى: الافادة والاعتبار، ص 95.
([11]) المراكشى : الاستبصار ، ص 89.

ويتضح اثر الرياح على أهالى رشيد من نقل منازلهم من وقت لآخر خوفا من التكوينات الرملية بغرب المدينة وجنوبها. [1]

كما أثرت الرياح الشديد التى تهب على مدينة الفرما على حركة التجارة لصعوبة السير على الطرق لتغطيتها بالرمال الكثيفة. [2]

([1]) الوطواط : مباهج الفك، ص 137.

([2])المقدسى : احسن التقاسيم، ص 195.